

ملمس القماش

كانت أمي تحبّ الفساتين لا القماش، تفضيبي المائدة لا الطبخ، صوتها الأوبرالي لا الغناء. وهي لم تكن تكذب بل كان يعجبها أن تؤلف الحياة تأليفاً.

تأتي خياطة الأكاير "مدام رحمة" الى البيت بالقماش الذي يكون اختاره أبي لفساتين أمي الخاصة بالمناسبات. ومن الشنطة الجلدية الكبيرة التي تشبه حقائب الأطباء، تخرج مدام رحمة مجلات الأزياء، تقرب كرسيها من كرسي أمي، تبعدان فناجين القهوة، وتبدآن حواراً طويلاً غالباً ما تخرج منه مدام رحمة حانقة رغم تهذيبها المفرط، وتروح تكثر من استعمال الكلمات الفرنسية ظناً منها أن ذلك يخفف من وقع كلامها على أمي التي لا يعجبها من أزياء المجلات زياً كاملاً، بل ياقه هذا على كمّ ذلك ... حتى ينتهي بها الأمر الى لخنراع ما قد لا ترضى مدام رحمة بتنفيذه الا بعد مساومات ... عندها تجلسان مجدداً الى الورقة والقلم وتتركان لي لذة تقليب المجلات والتفرّج على تلك السيدات الناحلات كلهنّ الى حدّ يصعب تصوّرهنّ يمشين في الشارع دون انقصاف خصورهنّ.

سيدات ناحلات يشرن بأيديهنّ كأنهنّ يشرحن فكرة صعبة لكن لطيفة لمستمعين كثر ... ولا تكتمل رغبتني الا حين تقوم مدام رحمة الى القماش، تقلّبه في اتجاهات عديدة، ثمّ تلقيه على جسم أمي أو تحيطه به، مبتعدة عنه قليلاً، ناظرة من عدّة اتجاهات الى قوامها، لاوية رأسها الأثيب يميناً و يساراً، قبل أن تشرع في القصّ والتفصيل ... ثمّ تلقني لي بقصاصات القماش التي المّها بسرعة قبل أن ترميها أمي أولاً بأول في سلّة المهملات لشدة انزعاجها من الفوضى التي يعيها يوم الخياطة في صالون بيتنا المرتب دوماً